الثورة
Thawrah Daily
الاربعاء ٢٨ محرم ١٤٢٦هـ الموافق ٩ مارس ٢٠٠٥م العدد (١٤٧٢٨)

أمريكا والعرب.. مشكلة عقليتين مختلفتين

عندما نتحدث عن إشكالية السياسة الأمريكية في أهم قضايا العرب المعاصرة؛ أعني الشرق الأوسط فإن علينا كي نكون موضوعيين أن نمارس درجة عالية من القهر الذاتي، بمعنى القفز فوق انفعالاتنا ومخزوننا الكبير من الإحساس بالإحباط في (الحد الأدنى) وبالمرارة (في الحد الأعلى)، متجاوزين رغبات البعض بالانتقام من نتائج تلك السياسة والتي رأيناها في الحادي عشر من سبتمبر، وهي بغض النظر عن دوافعها مدانة إنسانياً.

د. عماد فوزي شعيبي●

في واقع الحال يجب علينا أن نعترف أن هنالك عقليتين مختلفتين على المستوى السياسي فضلاً عن الحضاري والثقافي، وقد يكون المستوى السياسي انعكاساً عن المستويين الأخيرين بين العرب والأمريكيين، وقد ضاعف من التباعد بين هاتين العقليتين عدم وجود حوار بينهما، أضف إلى هذا ردود الفعل الوجدانية العربية على نتائج الممارسة الأمريكية للسياسة في المنطقة، وعلى رأسها الدعم المفرط لإسرائيل، ويتفاعل مع هذا الواقع عدم توافر تيار في الإدارات الأمريكية المختلفة منذ منتصف القرن الماضي ترغب في فتح أقنية الحوار على جميع التيارات السياسية العربية انطلاقاً من موقع الحوار وليس من موقع الإملاءات والفرض من خلال السيطرة.

العقلية العربية امتازت بأنها بنت مفاهيمها السياسية على مفاهيم أخلاقية (وبالمناسبة هنا فإن تعريف الأخلاق هو ما يجب أن يكون، بينما تعريف السياسة هو فن الممكن)، ومن هذه المفاهيم: العدالة، الحق، علاقات الصداقة، الحق التاريخي.. وبنتيجة هذا الاستناد إلى مفاهيم أخلاقية، فإن رد الفعل على عدم تفهّم السياسة الأمريكية لهذه العقلية (الأخلاقوسياسوية) والنتائج المأساوية المترتبة عليها من انهزامات وانكسارات... وما ترتب عليها من تغذية خلفية راجعة تعزز تلك العقلية، قد تحول إلى عقلية سياسية بوليسية تنظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها المسبب الأساسي لكل مآسي الشعوب العربية من ضياع فلسطين إلى فقر الشعوب ومعاناتها مروراً بعدم السماح بتفوق عسكري أو تنموي وصولاً إلى أزمة وانسداد آفاق عملية السلام، وذلك وفق إيقاع صورة نمطية ترى في الفعل السياسي الأمريكي تآمراً –وفقط تآمر– بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على نهضة العرب أو حصولهم على حقوقهم.

رواد هذا التحليل لا يفهمون أن السياسة الأمريكية محكومة بعناصر الضغط الداخلية والتي عرف الإسرائيليون كيف يستمرون فيها، كما لا يفهمون كيف لا تنظر الولايات المتحدة الأمريكية التي نصّبت نفسها أمينة على الحريات وحقوق الإنسان، إلى قضية الفلسطينيين كأولوية على جميع سياساتها تاريخياً كسياسات الانتعاش الاقتصادي لأوروبا الغربية الرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية ومحاولة إبعاد الاتحاد السوفييتي السابق عن المنطقة في ظل الحرب الباردة والعلاقة الاستراتيجية مع إسرائيل... إذ أن المظلوم يشعر أن العالم بأسره يجب أن ينظر إليه باعتباره (مركز العالم) لأن آلامه هي مركز اهتماماته، وآلام الإنسان هي أقصى معاناته وأثناءها لا يرى شيئاً ولا يسمع نداء أو صوتاً إلا صوت معاناته، وخصوصاً إذا كان أحد الأطراف يساند إسرائيل بصورة لا يمكن وصفها إلا باعتبارها مساندة كاملة.

على التوازي مع هذه العقلية الأخلاقية، نشأت العقلية السياسية البراجماتية الأمريكية والتي أيضاً تنظر إلى العالم من خلال مركزية الذات الأمريكية أيضاً؛ أي تلك العقلية السياسية التي تعتبر المصلحة الأمريكية فوق كل مصالح، والتي كانت في الخمسينيات وحتى اليوم تعتبر نفسها مرجعية ومنبع أية مصلحة، بل وتضفي على مصالحها سمة الأخلاقية المطلقة.

أضف إلى هذا أن السياسة الأمريكية قد حاولت تعميم نموذجها في العمل السياسي الذي يعتمد أسلوب (المساومة) في حل النزاعات وخصوصاً النزاعات الإقليمية وبدأ ذلك بوضوح من خلال الطروحات التي قدمها الطرف الأمريكي في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية في النصف الأخير من القرن الماضي وفي المفاوضات السورية الإسرائيلية، حيث بدا واضحاً أن سياسة المساومة تقفز في كثير من الأحيان فوق الشرعية الدولية وقرارات مجلس الأمن، الأمر الذي لا يُفسر في المنطقة العربية باعتباره انعكاساً مباشراً للمفاهيم السياسية القائمة على المساومة، إنما يفسر بالانحياز الأعمى لإسرائيل وبمحاولة ضرب مفهوم العدالة والحق عبر المساومة بعد أن تم ضربه من خلال منطق المصالح.

إننا نستطيع أن نفهم مفهوم المساومة في العلاقات الدولية والمفاوضات، لكننا في الوطن العربي لا نستطيع أن نتفهّم مسألتين: الأولى كيف يمكن للمساومة أن تكون بديلاً من قرارات مجلس الأمن (وبالتالي كيف يمكن ان تكون الولايات المتحدة بديلاً عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن)، ولا بد أن نتساءل هنا: هل هذا يؤذن بتغيير كل المفاهيم التي قام عليها النظام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية؟ ثم من هي المرجعية لمفاهيم العالم؟ وهل يمكن اعتبار المفاهيم الأمريكية هي المفاهيم العالمية وألا يعني ذلك إلغاء الآخرين بمن فيهم أوروبا والعالم الثالث؟ ثم ألا يتناقض هذا في العمق مع مبدأ الديمقراطية وحقوق الإنسان اللذين يكمن جوهرهما في الاعتراف بالآخرين؟ ثم هل المطلوب أن يقبل العالم ولو بقوة السلاح بامبراطورية أمريكية ذات طابع لا مركزي يقوم كل حيز فيها على تأمين مصالح الولايات المتحدة وحدها وحتى بدون الحد الأدنى من الاعتماد المتبادل والسيادة؟ ثم هل هذا سيعني ضرب أهم المفاهيم التي أنتجتها التجربة السياسية للبشر ومنها (السيادة)– ولو النسبية– وحقها في تقرير المصير...؟ ومن الذي يقبل بكل ذلك؟ ثم ألا يؤذن ذلك بصراع مرير دفعت الولايات المتحدة نفسها والعالم إليه دون أن تعرف عقلانياً متى تنتهي؟

الثانية: إننا كعرب لا نستطيع أن نتفهم كيف يمكن لدولة تعتمد مبدأ المساومة ألا تعتمد مبدأها منه عندما تعرضت للهجمات الإرهابية مثلما قامت بذلك بعض الدول الغربية التي لم تفتح النار على الإرهابيين؟ ثم كيف يمكن لمفهوم سياسي أن يكون انتقائياً إلى درجة شن حرب على بشر غير متعينين والدخول في معركة مع ما يعلن أنه ما بين انه عدد كبير من الدول (إرهابية أو تدعم الإرهاب أو في محور الشر أو قبل محور الشر...!؟) وعليه فإذا كان المفهوم نفسه الذي يقضي على الحقوق ويضرب العدالة في منظور العرب ليس مقدساً في الأداء الأمريكي فكيف ينال مصداقية لدى الشعوب لتعميمه وقبوله والعمل عليه؟!.

في آلية التعامل الأمريكية مع قضايا المنطقة تنبع إشكالية آلية تجزيء القضايا وتعليق الحلول الشاملة والدراماتيكية والجذرية واعتماد سياسة وسطية يشكل منطق المساومة سابق الذكر جزءاً منها. الأمر الذي أرسى سياسة (الخطوة – خطوة) والتي أدت عملياً إلى خطوة إلى الأمام، وخطوات إلى الخلف. ونحن كمثقفين نفهم أن هذه السياسة جزء من ثقافة علم الاجتماع السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية التي نشأت في مطلع القرن الماضي والتي تمثلت بثقافة استطلاعات الرأي وسطحية التعامل مع الظواهر باعتماد مبدأ تفكيكها إلى عناصر جزئية والتعامل معها كأجزاء لكننا لا نتفهمها لسببين أولهما: أنها طريقة غير علمية لأن الكل ليس مجموع أجزائه إنما هو هذه الأجزاء والعلاقات الناشئة عنها والتفاعلات البينية، وبالتالي فحل المشاكل الأمنية لا يؤدي إلى السلام لأن حالة العداء بين إسرائيل والعرب سببها الاحتلال وهضم الحقوق وقيام المستوطنات وانتهاك حقوق الإنسان وانعدام الأمن المتبادل... وعليه فإن التركيز على جزء لن يؤدي إلا إلى تفاقم إشكالات الأجزاء الأخرى وبالتالي إلى وضع أكثر تعقيداً.

وثانيهما: أنها طريقة لإدارة الأزمة وليس لحل الإشكالية، وهذه الإدارة قد أثبتت التجربة معها أنها فاشلة لأن الشعوب المقهورة لن تتعب وهي قد وصلت إلى حد تشكيل نموذج فريد من الصراع والكفاح لدى العرب وهو نموذج القنابل الاستشهادية فيما شكلت لدى الطرف الإسرائيلي نزعة نحو المزيد من اليمين والعنصرية وصولاً إلى الأبارتهيد الذي يريد أن يقيم أسواراً بين البشر بدلاً من حل المشكلة ومد جسور التفاهم والحوار بين الشعوب.

وكلتا الظاهرتين مرشحتان للتفاعل والتصدير والدخول في دائرة من الصراع والعنف الذي لا بد أنه سيصدّر إلى العالم بأسره، مع ضرورة أن نفهم أن الإرهاب الذي تعرضت له الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ليس إلا إحدى التظاهرات السيئة لتصدير وتحويل ظاهرة نبيلة تتمثل في تفجير النفس من أجل حرية الوطن إلى ظاهرة غير نبيلة، وهي تظاهرة تتساوق مع الشعور بالاكتئاب الجماعي بعد الإحباط من عدم التمييز الأمريكي بين قتل المدنيين المدان وبين المقاومة المشروعة ضد الاحتلال وعدم الفهم الجماعي أيضاً لمسألة لماذا لا يتم نزع أي مبرر لتنامي العنف الإسرائيلي والتحولات النوعية للمقاومة من خلال تطبيق قرارات مجلس الأمن وإرساء قواعد للأمن المتبادل؟

وبقدر ما تبدو المعادلة بسيطة بقدر ما يغدو منطق التفكيك الأمريكي للمعضلات وإدارة الأزمات، ومسايرة إسرائيل خشية عناصر الضغط الداخلية، وتمييع الحلول واتباع سياسة إتعاب الشعوب... وهذا غير مبرر لدى الأكثرية الساحقة من السياسيين والمثقفين العرب الذين لا يفهمون كل ذلك باعتباره تفاصيل في اللوحة السياسية الأمريكية الداخلية والخارجية بل يعتبرونه بمثابة جزء من مؤامرة. وهذا ما يفسر تنامي العودة إلى شعارات الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي في الخطاب السياسي والثقافي العربي والإسلامي، وهو وضع ارتكاسي تتحمل الولايات المتحدة جزءاً غير يسير من المسؤولية عنه وعليها أن تضطلع بمسؤولية تجاوزها نظراً لمخاطرها على العالم وعلى مصالح الولايات المتحدة أيضاً.

في سياق مسألة تنامي العداء للإدارة الأمريكية نلاحظ أن الأمر يتعدى كونه مجرد شعور عربي أو إسلامي محض، إنما هو في العمق نتاج عن صراع داخل الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً بين ثقافة السياسة ومنها (ثقافة المساومة) وبين ثقافة إيديولوجيا لها وجهان، الأول تنامي التيار الديني البروتستانتي الذي بدأ في دعم إسرائيل لاعتبار ديني أسطوري، والثاني تحوله بعد الحادي عشر من سبتمبر إلى تيار عقائدي لا يبحث في المصالح الأمريكية، بل في كثير من الأحيان يسير عكسها تماماً والذي وصل احيانا إلى حدّ المخالفة للضمانات الدستورية للمواطنين الأمريكيين بمن فيهم المسلمين والعرب، على الرغم من كل التطمينات التي أطلقها الرئيس جورج بوش من أن الصراع ليس بين أمريكا والمسلمين أو العرب.

يجب أن نتذكر دائما أن ليس بين العرب والولايات المتحدة أيّ أرث حربي، فالمطلوب اليوم هو مدّ الجسور، فالعرب من ناحيتهم قد كرسوا العقلانية السياسية وهم لا يعادون المصالح الأمريكية لكنهم يريدونها مصالح متبادلة، وهم أيضاً يكافحون ضد الإرهاب، وبالتالي فإن مصالح الولايات المتحدة تكمن مع العرب.

إذن، يجب أن تدرك الولايات المتحدة أن مصلحتها تكمن في إقامة العدالة في حل مشكلة الشرق الأوسط، هذه المهمة لم تعد مجرد خيار إنما قد غدت ضرورة.

● كاتب ومحلل سوري

المرحلة الثالثة في اتجاه خارطة الطريق

نجح مؤتمر لندن الخاص بدعم السلطة الفلسطينية في تأكيد اتفاق المجتمع الدولي وتحديدا أوروبا والولايات المتحدة على ان وقت التسوية التي لا رجعة فيها للصراع الفلسطيني الإسرائيلي قد حان، وأن متطلباته قائمة والفرصة المتاحة لا يجب تفويتها بأي حال من الاحوال.

الشكوك العربية لاتزال قائمة وكذلك الفلسطينية والتأرجح الإسرائيلي مازال فاعلا، ولكن الإرادة الدولية هي المنتصرة حتى الآن، ومن المؤتمر خرج الفلسطينيون بالتزام الدول والمؤسسات الدولية التي شاركت فيه بتسديد مساعداتها الموعودة للسلطة الفلسطينية العام الحالي وقدرها ٨٠٠ مليون دولار، كما خرجوا بدعم سياسي للقيادة الجديدة الممثلة في الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) وحصلوا على التزام الدول المشاركة وكذلك من اللجنة الرباعية الدولية بخارطة الطريق ورفض أي خطوات إسرائيلية انفرادية تؤثر على قضايا الحل النهائي وفقا لما جاءت به هذه الخارطة وهي التي دعت الى قيام دولتين إحداهما فلسطينية متصلة جغرافيا وقوية وقابلة للحياة واخرى إسرائيلية آمنة.

عبد العاطي محمد ●

لقد كان هذا المؤتمر معرضا للفشل منذ بدء الإعلان عنه من جانب رئيس الوزراء البريطاني توني بلير قبل عدة أشهر سبقت إجراء الانتخابات الفلسطينية، لأن الدعوة أنذاك جعلت منه اجتماعا فنيا لا سياسيا يتعلق بإعادة "تأهيل السلطة الفلسطينية"، وفضلا عما كانت تمثله هذه العبارة من إهانة للفلسطينيين حيث تعني تدني مستوى الأداء السياسي والأمني للسلطة الفلسطينية وأجهزتها وهو ما لم يكن يقبله الفلسطينيون على أنفسهم من الناحية الأخلاقية، فإنه لم يكن معقولا أيضا حصر المؤتمر في مراجعة مستوى الإصلاحات التي قامت بها السلطة عقب وفاة ياسر عرفات وتحديد مستقبل الدعم المالي الدولي لها بناء على حجم نجاحها في مجال الإصلاحات دون النظر الى الاعتبارات السياسية المتعلقة بضرورة ان يتجه التحرك الدولي الجديد صوب المساعدة على استئناف المفاوضات وتطبيق خطة خارطة الطريق وآنذاك اختلف احمد قريع رئيس الوزراء مع محمود عباس رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (لم تكن الانتخابات قد جرت بعد) ورفض قريع حضور المؤتمر واستنكر بشدة ان يكون الفلسطينيون في حاجة الى إعادة تأهيل، وبعد إجراء الانتخابات الفلسطينية وفوز محمود عباس فيها ثم عقد قمة شرم الشيخ تعدل مضمون مؤتمر لندن ليجمع بين الاعتبارات الفنية الخاصة بمراجعة ودعم خطوات الإصلاح الإداري والقضائي والأمني والاقتصادي الفلسطينية وبين الاعتبارات السياسية أيضا، وحضر قريع المؤتمر بجانب محمود عباس بعد أن كان من أشد معارضيه.

ثم جاءت عملية انفجار تل أبيب منذ بضعة أيام لتهدد الإنجاز الذي تحقق في شرم الشيخ من ناحية وتقضي على الآمال بعقد مؤتمر لندن ومن ثم ضياع الدعم المالي والسياسي الجديد للسلطة الفلسطينية، ولا يخفى أن المراقبين توقعوا انتكاسة خطيرة لمسار العلاقة الفلسطينية الإسرائيلية كما توقعوا انقلابا دوليا على السلطة الفلسطينية يضع محمود عباس في مهب الريح. فقد خرجت إسرائيل لتهدد بأنها ستجمد الخطوات التي أعلنتها فيما يتعلق بالافراج عن الأسرى والمعتقلين والانسحابات من ٥ مدن فلسطينية وستوقف الاتصالات الأمنية، بل إنها يمكن ان تعاود العمل بسياسات المداهمة واستهداف الشخصيات الفلسطينية النشطة عسكريا، أي أن الانفراج الذي حدث في شرم الشيخ كاد أن يتحول الى النقيض تماما، ولكن تعامل الأطراف كلها مع حادث الانفجار كان يشير الى أن شيئا مهما قد تغير وهو وجود اتفاق دولي على أن مثل هذه الأعمال لا يجب ان توقف المسار الذي تقرر عقب انتخابات أبو مازن وهو المضي قدما في عملية السلام، لم يكن هذا الموقف موجودا في السابق، ولم تكن مثل هذه اللغة دارجة أيضا. حكومة شارون التي يحاصرها اليهود المتطرفون اكتفت بالتهديد ولم تشرع في اتخاذ إجراءات عدوانية ضد الفسطينيين كما كان يحدث دائما في السابق عقب كل عملية مسلحة. والسلطة الفلسطينية ممثلة في ابو مازن أقدمت على ما كان يعد من قبيل المحرمات في السابق حيث لم تكتف بالإدانة كما كانت تفعل أيام عرفات، وإنما تعهدت بمطاردة الفاعلين والقبض عليهم وتقديمهم للعدالة، ووصف أبو مازن العملية بأنها انتحارية واختفت عبارات العمليات الاستشهادية كما كان الأمر في السابق، والجديد هنا الذي أراد أبو مازن تقديمه للعالم هو أنه متسق مع نفسه حيث يرفض استمرار الانتفاضة في شكلها المسلح وأنه حريص على المصداقية في موقفه ولذلك فإنه سيعمل على معاقبة من قاموا بمثل هذا العمل الذي كان يعد من أعمال المقاومة المشروعة حتى أيام مضت. وساعده في ذلك أن الفصائل الفلسطينية المسلحة اكدت مجددا التزامها بالتهدئة.. التي وافقت عليها لاعطاء الفرصة لأبومازن فيما يتعلق بالحل السياسي مع إسرائيل، وربما كان ذلك من العوامل الحاسمة التي جعلت حكومة شارون لا تلقي بالاتهام مباشرة الى السلطة الفلسطينية، أو تقدم على معاقبة الفلسطينيين كما كان يحدث في السابق، هناك صداقة بدأت تتشكل لا تريد إسرائيل تخريبها، وهناك أطراف اخرى تلقى عليها مسؤولية ما يحدث من عرقلة لمسار السلام. هكذا بدأت تتشكل ملامح جديدة في لغة الخطاب وشكل التعامل مع الأحداث، كلها لم تكن موجودة من قبل وتشكل الآن ثمرة تحول استراتيجي في الموقف ككل مؤداها أنه يتعين المضي قدما دون العودة الى الوراء في إنجاح العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية في مرحلة ما بعد عرفات، وفي هذا الإطار نفسه علينا أن نتذكر أن الإدارة الأمريكية أكدت عقب قمة شرم الشيخ أنها ستعمل من جانبها على أن تنطلق عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين برغم أي عقبات تنشأ من الجانبين كأن تعاود إسرائيل استهداف الفلسطينيين أو تواصل الفصائل المسلحة أعمال العنف ضد المدنيين الإسرائيليين، ومع أنها كثيرا ما رددت هذا المعني في السابق، إلا أنها هذه المرة بدت متسقة مع نفسها لأنها مقتنعة بالتحولات السياسية الجديدة في السلطة الفلسطينية وتعتبرها جزءا رئيسيا من سلسلة استحقاقات يجري تنفيذها على أرض الواقع تصب في نهاية المطاف فيما تتصوره السياسة الأمريكية لمستقبل الشرق الأوسط ككل.

عقبة اخرى ثالثة كانت تعترض عقد مؤتمر لندن، هي الموقف الإسرائيلي، فالمعروف أن إسرائيل لم تشارك في هذا المؤتمر لأنه من حيث الهدف كان منصبا على دعم السلطة الفلسطينية ومن ثم لا علاقة لإسرائيل به، ولكن المؤتمر ناقش قضية السلام ولا يمكن تجزئة ما هو فلسطيني عما هو إسرائيلي في القضية فكلاهما مرتبط بالآخر لسبب بسيط وهو أن الفلسطينيين لا يعملون في فراغ وكل خطوة يتخذونها على صعيد الإصلاح لن تؤتي ثمرتها إلا إذا حدث تغير مقابل في الجانب الإسرائيلي، فلا جدوى مثلا من اعداد أجهزة أمنية فلسطينية على درجة من الكفاءة وتحمل المسؤولية فيما لا تنسحب إسرائيل من الأرض أو تصر على وضع عراقيل أمام هذه الأجهزة لمباشرة عملها، ولا جدوى أيضا من إصلاحات اقتصادية بينما إسرائيل تغلق كل منافذ الاقتصاد الفلسطيني، ومن هنا كان من الضروري أن تشارك إسرائيل في مؤتمر لندن، وكان توني بلير يأمل في هذا ولكنه فشل في اقناع شارون بمشاركة إسرائيل في المؤتمر، والحجة التي قالها شارون هي إنه لا يريد الآن أن يتحمل قرارات تصدر من المؤتمر تشكل تنازلات من جانبه يستغلها المتشددون لإسقاط حكومته أو لإفشال مشروعه للانسحاب الأحادي الجانب من غزة، إلا أن الهدف الرئيسي من رفض إسرائيل المشاركة هو في الحقيقة لأنها كانت تريد أن يقتصر المؤتمر على القضايا الفنية التي تخص "اعادة تأهيل الأجهزة الفلسطينية" لا على القضايا السياسية في عملية السلام. وما تخفيه هذه الرؤية الاسرائيلية هو أنها لا تريد حلا دوليا بل حلا ثنائيا مع الفلسطينيين ولا تريد تغيير المسار الذي وضعه شارون وهو التصرف المنفرد من جانب اسرائيل انتظارا لأن يثبت الفلسطينيون حسن نياتهم على حد تعبيره، حيث لا التزام من حكومة شارون بموقف فيما يتعلق بقضايا الحل النهائي قبل انجاز مشروع الانسحاب من غزة، وتفكيك البنية الأساسية للمنظمات الفلسطينية المسلحة. إنه لا يريد حلا مؤقتا طويل الأمد أو حلا عادلا لكل القضايا الآن.

ولكن انعقاد مؤتمر لندن والبيان الصادر عنه جاء لصالح الطرف الفلسطيني وضاغطا على الجانب الاسرائيلي وشكل رسالة لاسرائيل بأنها هي التي تعرقل ارادة المجتمع الدولي بمن فيه الولايات المتحدة لانجاز تسوية سياسية للصراع بين الفلسطينيين والاسرائيليين تؤدي الى قيام دولة فلسطينية مستقلة. لقد شارك في المؤتمر ٥٢ دولة اضافة الى الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي أقروا تقديم دعم مالي ٨٠٠ مليون دولار للسلطة الفلسطينية هذا العام، وجاء في وثيقة البيان الختامي ان مؤتمر لندن كان الغرض منه حشد المجتمع الدولي دعما لخطط السلطة الفلسطينية لبناء مؤسسات دولة فلسطينية قابلة للحياة. وجاء في البيان ايضا – وهو الشق السياسي الذي أرادت اسرائيل ابعاد المؤتمر عنه – أن المشاركين أعادوا تأكيد التزامهم بتحقيق حل للصراع بين اسرائيل والفلسطينيين عبر مفاوضات مباشرة تفضي الى هدف بناء دولتين، اسرائيلية سليمة وآمنة، وفلسطينية سيدة ومستقلة وقابلة للحياة وديمقراطية وذات اتصال جغرافي تعيشان جنبا الى جنب في سلام وأمن .كما أعاد المشاركون تأكيد التزامهم بتحقيق تسوية سلمية وعادلة وشاملة ودائمة تتفق وخارطة الطريق وتقوم على قرارات مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ و١٥١٥.

نتائج مؤتمر لندن هي جزء من عملية السلام التي تتحمس لها الولايات المتحدة وتحظى بتأييد بريطاني وفرنسي وروسي تعد خارطة الطريق محطة فيها (لم يأت أوانها بعد) ولكن الاجزاء كلها مهمة وكل منها يؤدي الى الآخر . وكشف "بلير" في كلمته أمام المؤتمر عن هذا التصور الذي يعمل المجتمع الدولي بمقتضاه الآن ، فقال إنه عندما التقى مع الرئيس الامريكي جورج بوش في نوفمبر الماضي بواشنطن حدد الزعيمان خمس خطوات نحو حل عادل وسلمي ودائم ، كانت أولها انتخابات ناجحة في السلطة الفلسطينية ، وهذا حدث ، وكانت الثانية ان تتم الانتخابات ضمن نطاق رؤية عامة يفهم منها الجميع أن النهاية ستكون الحل على اساس دولتين ، والثالثة هي مساعدة السلطة الفلسطينية المنتخبة على ضمان انها في مجالات الحكم والأمن والاقتصاد تستطيع فعلا اقامة تلك الدولة الفلسطينية القابلة للحياة ، والرابعة عملية فك الارتباط المتحركة قدما، وأخيرا يأتي العنصر الخامس وهو العودة الى خارطة الطريق وتنشيطها حتى يمكن الاضطلاع بالمؤتمرات الضرورية للتوصل الى تسوية دائمة.

ووفقا لقول بلير فإن ما تم انجازه حتى الآن هو ثلاث مراحل كان آخرها مؤتمر لندن، وتبقى مرحلتان هما الانسحاب الاسرائيلي من غزة في الصيف (خطة شارون)، وأخيرا تعود الأطراف جميعها الى خارطة الطريق. ارتباطا بالمرحلة الخامسة المؤجلة حتى الآن ، فإن فرنسا دعت الى عقد مؤتمر دولي بعد منتصف العام أي بعد ان تكون اسرائيل قد شرعت فعلا في تنفيذ خطة الانسحاب الاحادي الجانب من غزة .

● كاتب عربي

افاق

الملفَّ العتيد..!!

□ .. وجه الرئيس علي عبدالله صالح السلطات القانونية اليمنية بضرورة الإسراع في مواءمة القوانين اليمنية مع القوانين السارية في دول مجلس التعاون الخليجي ، وحدد المرجعية في تلك المودعة لدى الأمانة العامة للمجلس وأكثر ما لفت الانتباه هو تشديد الرئيس على ألا تتجاوز هذه العملية ستين يوما.

هذا السقف الزمني هو ما نحتاجه دائما وأبدا لكل انجاز نتطلع إليه في مختلف البلدان العربية ، لأن البيروقراطية النائمة تعشّش دائما في الزمن المفتوح حيث تجد الوقت الكافي لدفن أي حلم في الاضابير المليئة بالغبار ثم تدعي أنها تعمل عليه إلى يوم الدين ، وربما كان لمؤشر الزمن استحقاق قد تكشف عنه قادمات الأيام.

وجاءت زيارة الأمين العام لدول مجلس التعاون عبدالرحمن بن حمد العطية إلى صنعاء فرصة مضافة لفتح الملف العتيد في علاقات الجانبين والتي تأرجحت لفترة طويلة بين حسن النوايا وهشاشة الهدايا، وبين قدرة الجغرافيا على الظهور ومهارة التاريخ في الاختباء ، وبين ضيق النظرة القديمة الدواوينية ورحابة الآفاق الجديدة التي تحزم دول كل اقليم في عربة واحدة تربطها بقطار العولمة المنطلق بسرعة الضوء متناسية حكمة الكسالى على أرصفة التاريخ:

تسألني «أم الخيار» جملا
يمشي رويدا ويكون أولا

فضل النقيب

فإيقاع البطء لا يتناسب مع ايقاع السبق، ومن لايتقدم يتأخر حتما، فقط علينا أن لا نجري دون تحديد ومعرفة الهدف الذي ننتهي إليه، وإلا وقعنا فيما وقع فيه (أشعب) حين صرف الصبيان عن تتبعه بقوله لهم: ان هناك وليمة في الجوار فاذهبوا لتنالوا نصيبكم منها، فلما رآهم يحثون الخطى مسرعين إلى حيث أشار لهم قال لنفسه: ربما تكون هناك وليمة فعلا وأنا غافل عنها لا أدري ، فما كان منه إلا أن وضع طرف ثوبه تحت أسنانه وأخذ يسابق الصبيان إلى وليمة هي من بنات أفكاره .. باختصار كان يجري إلى لا هدف.

وقد رحب الرئيس علي عبدالله صالح لدى استقباله عبدالرحمن بن حمد العطية بفكرة انضمام اليمن إلى منطقة التجارة الحرة لدول المجلس ، وفي تقديري أن المنطقة الحرة هي مدخل جيد إذا ما جرى إحكامها لتخدم مصالح الجميع ، ذلك أن السوق مثل حلبة الملاكمة يفوز فيها الأقوياء ويخسر الضعفاء ، ولكن الضعيف المجتهد سيزداد قوة بالمشاركة ، وقوة على قوة بالتخطيط الجيد وحشد قواه ومواصلة التمرين ، فالمرء لا يستطيع أن يتعلم السباحة وهو واقف على الشط ، وإذا كان لدى بعض دول المجلس الوفرة المالية التي وفرت قدرات انتاجية لايستهان بها، فإن لدى اليمن القوة البشرية الكبرى في الاقليم والسوق الواسع والثروات البكر على امتداد ٥٥٠ ألف كيلومتر مربع.

وتبلغ قيمة الصادرات الخليجية إلى اليمن ١,٦ مليار دولار سنويا ، وهذا دون سوق حرة مشتركة ودون استثمارات خليجية محسوسة كانت منتظرة منذ زمن طويل ، أما الواردات الخليجية من اليمن فلا مقارنة..

في ضيافة (نجوم الصمت)!!

حسين جمال البكري

■.. قبل سنوات تلقيت دعوة من وزارة إعلام ذاك البلد الأفريقي لزيارة مقر الصحيفة الوحيدة التي كانت تصدر بأعداد محدودة، الى جانب صحيفة الدولة الأولى والتي تصدر باللغة الانجليزية رغم أن سكان البلاد لغتهم محلية!!

وكالعادة كنت حريصاً على الوصول في الوقت المناسب، فأنا قد تعودت على احترام الوقت، الوقت الذي قلّ ما يحترمه ناس العالم الثالث!

وطبعاً موعد زيارتي كان متفقاً عليه قبل أسبوع على الأقل.. إلا أن لا أحد كان بانتظاري. حدقت في ساعة يدي فارتحت لأنني قد وصلت في الوقت المحدد.

قلت لنفسي: ليست مشكلة، بالتأكيد هم ينتظرونني بالداخل.

دخلت فلم يعيروا وجودي أي اهتمام إلا بأطراف عيونهم الخائفة.. خائفون.. لماذا؟ وممن؟ حقاً لقد كنت حائراً من أحوالهم، فكلما سلّمت على أحدهم سلّم وابتعد، وقد ظهرت عليه علامات الارتباك، سألته فأجاب بصوت خافت: أنا كاتب بالصحيفة ثم ابتعد.

كان الجميع يعملون في صمت، لم أجد شخصاً واحداً لديه رغبة للكلام معي، ومما زاد حيرتي أنهم جميعاً يتكلمون العربية ويكتبونها جيداً (يا إلهي، أي نوع من الضيوف أنا؟)، فلا أحد يبدي رغبة للتعارف أو التحاور أو حتى مجرد الترحيب البسيط: أهلاً وسهلاً بك في مقر صحيفتنا و(يا ربي ماذا أفعل؟). على الفور رفعت التليفون واتصلت بمكتب سعادة وزير الاعلام وسألته فأجاب: بالعكس، نحن مرتاحون جداً لوجودك اليوم في مقر الصحيفة أرجوك أن تقدم للعاملين والكتاب نصائحك وملاحظاتك وخبرتك، ولو استطعت أن تكتب ملاحظاتك عن الكتّاب والعمل أكتب ولسوف ندرسها ونهتم بها.

قلت له: أنا آسف يا سيدي، لا يمكنني كتابة أي شيء عن زيارتي.

قال سعادته: من فضلك، أريد أن أتكلم مع المدير.. أين المدير(!!)

سألتهم وقد التفوا حولي: أين مديركم؟ وزير الاعلام يريده. (حينئذ انتفضت أجسامهم وابتعدوا)، غيرأن أحدهم التفت إليّ قائلاً: المدير مريض، قبل قليل أصيب بمغص واسهال.

قلت للوزير: المدير عنده مغص وبول لا إرادي.

ثم قلت لأحد الكتّاب: إنصحوه، انصحوا مديركم بغسل يديه قبل الأكل وبعده، وأن يخفف من الأكل غير المشروع!!

وقبل أن أغادر بوابة المقر لحقت بي كاتبة سمراء وقد ظهرت على شفتيها ابتسامة عريضة حلوة وقالت لي بصوت خافت: اعذرهم يا سيدي، انهم يخافون من الكلام الذي سوف يحاسبون عليه. قلت لها: لكن أنا ضيف. قالت: التجارب علمتهم أن السكوت من ذهب. سألتها: طيب هم ماذا يكتبون؟ تركتها وفي نفسي ارتياح وفرح: الحمد لله على نعمة الحرية والأمان في يمننا الحبيب.